الكرامة الصوفية وسؤال التجنيس

أ.عقاق نورة، جامعة بجاية، الجزائر .

الملخص

ستحاول هذه الدراسة موضوع الكرامة الصوفية ضمن نظرية الأجناس الأدبية انطلاقا من معطيات النقد العربي الحديث، فقد تحولت الكرامة في خضمّ الرحلة التي قطعتها من حدث خارق مرهون بالكتمان وحفظ الأسرار، إلى حكاية شفوية يرويها المريد تبرّكا وتثبيتا لأفئدة التابعين، ومنها إلى نصوص سردية مكتوبة في مختلف المدونات ككتب التراجم والمناقب والأخبار،كما تعرضت إلى الكثير من مظاهر التحولات والتفاعلات النصية مع مختلف المجالات، كالقصص الديني والمعراج والأساطير وغيرها من أنواع الكلام العربي بشكل عام.

الكلمات المفاتيح: الكرامة-التجنيس –التصنيف-السند الكراماتي- الراوي الكراماتي-المروي الكراماتي .

Abstract:

This study aims to discuss the subject of “Sufi Karama” within the literary genres, based upon the Arabic contemporary criticism. Throughout its history, the Karama turned from being a supernatural incident founded on discretion and secrecy, to an oral story told by the Murid to seek blessing, and to emphasize for the followers. Furthermore, it has turned into narrative texts in multiple records and documents. It has also been exposed to many textual changes and interactions with several other domains, such as religious Arab tales and myths.

Keywords: the Karama; Literary Genres; Categorization; the Karamati bond; the Karamati Author; the Karamati Narrative.

تعدّ الكرامات الصوفية إحدى أهم الأشكال التعبيرية الصوفية التي تؤسس لرؤية مخالفة للعالم، تلك الرؤية المستنبطة من التصوف كتجربة متكاملة بدءا بنمط العيش الخاص وصولا إلى الوصال الرباني، الغاية المنشودة لكل صوفي، و تنبني الكرامة على تجاوز المألوف من خلال حدث خارق يجريه الله على يد عباده الصالحين والأولياء، غير مقرون بدعوى النبوة، وهذا الحدث جائز

عقلا، لقدرة الخالق على خرق النواميس التي وضعها، وواقع نقلا لثبوت المعجزات عن الأنبياء والرسل في مختلف العصور1.

الكرامة - كمروي حكائي- ظهرت مع ظهور التصوف وانتشرت في المجتمع، وهي "في أغلب الأحيان من المرويات التي تتناقلها مجالس المريدين. ويرجع سبب نشأتها إلى أنّ الولي يكتم الكرامة بالتالي تتناقل وتتسرب بعيداً عنه، محمّلة بالكثير من الأساطير والخرافات مما يجعل هذه الطائفة مجالا للنقد"[2]، ومن هنا شكّل تلقيها أفقاً أوسع من تلقي الشعر الصوفي الذي تطلب متلقياً من نوع خاص، ينتسب إلى طبقة المتصوفة، ويفهم معجمهم؛ فكان متلقوها الأوائل هم المريدون وأتباع الطريق الصوفي، ولكن سرعان ما انتشرت بين طبقات المجتمع وأصبحت تتناقل شفويا، فقد قطعت رحلة مليئة بالإكراهات تحولّت فيها من حدث خارق مرهون بالكتمان وحفظ الأسرار، إلى حكاية شفوية يرويها المريد تبركا وتثبيتا لأفئدة التابعين، ومنها إلى نصوص سردية مكتوبة في مختلف المدونات ككتب التراجم والمناقب والأخبار، وقد تعرضت في خضمّ هذه الرحلة إلى الكثير من مظاهر التحولات والتفاعلات النصية مع مختلف المجالات، كالقصص الديني والمعراج والأساطير وغيرها من أنواع الكلام العربي بشكل عام.

لكن الظاهرة التي تستوقف القارئ العربي هي قلة البحوث التي تعنى بالدراسة النقدية والتصنيفية لنصوص الكرامات، وللنثر الصوفي بشكل عام، على الرغم مما تزخر به بنيتها السردية من مقومات فنية وأدبية، مقارنة لما حظيت به الأشكال السردية الأخرى في النثر العربي القديم، كالمقامات والسير والخرافة وغيرها، وظلت الكرامات حتى بعد تدوينها مرتبطة " بالشعبي والهامشي بكل ما هو مضاد للثقافة العالمة"3. ولعل بنيتها الجامعة بين التاريخي والعجائبي وتداخلها مع السحر والشعوذة4، من أهم الأسباب التي جعلت النقاد يهملون الكرامات الصوفية ويصنفونها ضمن **الهامشي أو اللّانص** في الثقافة العربية.

1- يراجع: سعاد الحكيم ، المعجم الصوفي، الحكمة في حدود الكلمة، ندرة للطباعة والنشر، ط1، 1981، ص 961. ويراجع: عفيف الدين اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، تح محمّد عزت ، دط، المكتبة الوقفية ،دت، ص 28- يراجع: أيضا النبهاني يوسف بن إسماعيل، جامع كرامات الأولياء، تح: إبراهيم عطوة عوض، المكتبة الثقافية، ط1، بيروت، 1991، ج1، ص 14-96.

2 سعاد الحكيم: المعجم الصوفي، ص962.

3 أسماء خوالدية، الفكه في كرامات الصوفية، بين التقديس والتحميق، ط1، منشورات الاختلاف، ص70، 2015.

4 يراجع في ذلك زيغور علي، الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم. القطاع اللّاواعي في الذات العربية، دار الأندلس، ط2، بيروت، 1984.

2-البنية السردية للكرامة الصوفية

تنتمي الكرامة الصوفية إلى التراث النثري الصوفي، وتتفق التعريفات القديمة منها والحديثة للكرامة على أنّها وحدة تحوي حدثا خارقا خاصا بفئة معينة من البشر، وهم الأولياء والصاحين، تتناص في مضمونها مع أحداث مشابهة تعتمد خرق العوائد، كالسحر والاستدراج والمعجزة، والفرق بينها كلها يتمحور حول الشخصية، التي يجب أن تكون من أرباب التصوف أو على الأقل أن تكون معروفة بالتقوى والصلاح.

ينتدب حكي هذا الحدث الخارق مريد أو تابع أو شاهد على وقوع هذه الكرامة، مما يحوّل الواقعة إلى حكاية تروى على لسان راو، فتصبح حكاية شفاهية يتناقلها المريدون والأتباع رغم أن الأصل فيها الكتمان والستر مخافة الفتنة، فتنمو وتتأثر وتتحول حسب السياقات التي تحتضنها قبل أن تصل الي مرحلة التدوين، وهي المرحلة التي تثبت الرواية الأخيرة لهذه الكرامة على شكل نص سردي ينقسم إلى سند ومتن.

2-1 ماهية السند الكراماتي:

إنّ قضية السند في الأدب العربي قضية مهمة، تعود جذورها إلى نزول القرآن[1]، لمّا أمر الرسول ﷺ بكتابته، ونهى عن تدوين أحاديثه خوفا من الاختلاط بينهما[2]، وبعد وفاته صلى الله عليه وسلّم، بدأت الأحاديث الموضوعة والكاذبة تتغلغل وتنتشر بين العامة، فدعت الضرورة إلى تقييد الحديث النبوي بالتدوين، مع وضع شروط دقيقة لضمان صحة ما يدوّن، فكان اختيار الرواة والتأكد من أخلاقهم، أولى الخطوات للأخذ عنهم، ومن هنا جاءت فكرة الثقة في الحديث الذي صح سنده واتصل بقائله.

انتقل السند من فضاء الأحاديث النبوية إلى فضاء قصّ الأخبار والحكايات، بعد تأثر مكانة القصاصين وتراجعها أو انحصارها بمجيء القرآن الكريم، الذي حيّر العرب بمعجزاته البيانية، وما جاء به من حقائق وأخبار الأمم السابقة، كما يتبين في الآية13 من سورة الكهف ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ**﴾ فقصص القرآن هو الحق وقوله عزّ وجلّ ﴿**وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ**

---

1 - يراجع: محمد القاضي، الخبر في الأدب العربي، دراسة في السردية العربية، ص223-350.

2 - إبراهيم عبد الله ، السردية العربية، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، 2000، ص40.

فُؤَادَكَ ﴾ هود120 فانحصر معنى القص على ما جاء به القرآن؛ لذلك اتهِم الرسول(ﷺ) بالسحر وسمي أيضا بالقصاص،[1] فكان هذا سبباً كافيا لمحاربة القصّاصين، إضافة إلى ذلك ما كانوا ينشرونه من أخبار مزيفة مصدرها التوراة والإنجيل على شاكلة الأخبار التي جاءت في القرآن الكريم (هي ما سمّي بالإسرائيليات)؛ حيث شكّلت مصدر تهديد للعقيدة الإسلامية كما اشتهر عن **النظر بن الحارث** الذي كان يخلف النبي ﷺ في مجالسه ويحدث الناس بما تعلّمه من أحاديث عن الأمم السابقة ويقول: "أنا يا قريش أحسن حديثا منه هلمّوا أنا أحدثكم أحسن من حديثه"[2].

وقد استثنى الإسلام من هذه الأخبار والقصص ما كان صادقا نافعا يساعد على نشر الدعوة الإسلامية وترقيق النفوس دون كذب أو تلفيق، فـ"الخبر المقيد بالدقة والصواب واليقين والتدبر والحسن هو القصص الذي أعلى من شأنه القرآن، وهو القصص الذي ورد في تضاعيفه السرد، ليؤدى وظيفة تقوّي من أمر الرسالة الدينية"[3]. وهكذا لجأ القصاصون إلى نشر الأخبار التي جاء بها القرآن، والتي سمعوها عن الصحابة والمفسرين، وشكّل السند عنصراً هاماً فيها باعتباره دليلاً على صدق القول وانتسابه للواقع [4].

من هنا جاءت الأسانيد في الأدب، فقد كان السند في الحديث دليل الصدق والثقة، وكان مرجع القصص التي يرويها القصاصون مرتبطا بما جاء في القرآن، فالسند إذن، يعطي "الانطباع أن الخطاب له بالواقع نسب"[5]؛ والإقناع بواقعية الحدث في الكرامة الصوفية هي الغاية الأولى التي يسعى إليها الصوفي، لتمهّد له الطريق لتغيير اعتقاد المروي له أو المتلقي بصفة عامة.

إضافة إلى الطابع الديني للكرامة الصوفية الذي يميّزها من الأدب الشعبي، يضمن لها الإسناد شريحة من المصدّقين، لأن السند "يوحي بصدقية الحديث إلى حد ما ويعزّز سلطة السلف"[6]، على

1 - عبد العزيز شبيل، نظرية الأجناس الأدبية في التراث النثري، جدلية الحضور والغياب، ص206.

2 حسين مجيب المصري ، الأسطورة بين العرب والفرس والترك، دراسة مقارنة، الدار الثقافية للنشر، د.ت، ص7.

3 إبراهيم عبد الله ، التلقي والسياقات الثقافية، منشورات الاختلاف، ط2، الجزائر، 2005، ص94.

4 سعيد يقطين ، الكلام والخبر، ص59. يراجع أيضا مؤلفه الموسوم بـ: السردية العربية، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، ص40 -71.

5 مُحَمَّد القاضي ، الخبر في الأدب العربي، دراسة في السرية العربية، ص310.

6 إبراهيم صحراوي ، السرد العربي القديم، الأنواع والوظائف والبنيات، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2008 ص172.

الرغم ممّا تحمله من عجائبية الأحداث التي تصطدم مع العقل البشري وتجعله يبحث عن قوانين أخرى تفسر الكرامة.

يتفاوت السند في الكرامة الصوفية بين الطول والقصر، إذ تصادفنا أحيانا أسانيد مركبة طويلة على شاكلة أسانيد الحديث النبوي الشريف، قد تكون أطول من المتن نفسه وفي حالات أخرى نجد الكرامة الصوفية تتخلى عن السند المركب وتلجأ إلى السند البسيط الخالي من العنعنة، بصيغة الأسانيد المعروفة في الموروث الحكائي لتجعل منه فاتحة استهلالية للولوج إلى عالم الحكي، فاتخذت عبارات من قبيل: (حدّثني بعض الثقات يحكى أنّه، ومن كراماته أنه...) وغيرها من العبارات المعروفة في رواية الأخبار والقصص.

يأخذ السند في الكرامة الصوفية شكلين أساسين: مركب أو بسيط، فالمركب يأتي على شاكلة سند الأحاديث، ليقرّب بين الكرامة والمقدس الديني ويبرهن على صدق الكلام، لكن التخلي عنه يدل على أنّ الكرامة لم تعد تحافظ على سيرتها التي كانت عليها في القرنين الثالث والرابع للهجرة، حين كان الأولياء يتسترون عليها ويعاقبون من أفشى سرهم أشدّ عقاب، وبالتالي، لم يعد لنصها تلك الحرمة التي تمنع عنه أي زيادة أو نقصان بل أصبحت تروى من كل من سمع بها، سواء أكان الراوي معروفا أم مجهولا وبدأت بذلك تخرج من فلك المقدس الديني وتدخل في فلك التداول الشعبي، على الرغم من أنّ المقارنة بين النصين السابقين لا تبيّن فرقاً ظاهراً في مضمون المتن، أو في طريقة الصياغة، إلاّ أن ذلك لا ينفي التطور الذي نلمسه في بعض الكرامات، من حيث تنامي الأحداث وما ينتج عنه من طول نسبيّ في النصوص، وتناسخ في الأحداث.

ولعلّ ظاهرة تحطيم السند واعتماد الاستهلال القصير قد وسّعا الأفق التداولي للكرامة الصوفية، ومهّدا للتحوّل في بنيتها، والتطور في شكلها، وعملا على إخراجها من حيّز الخبر "سواء من حيث نظامه التقليدي القائم على الإسناد المركّب والمتن المقيّد بذلك الإسناد، أو من حيث طبيعة تلك الأخبار التي شاعت واستمر الحديث حول ما تحتويه من أحداث مستغربة، وخوارق تتجاوز المألوف"[1]، لتشكل ركيزة من ركائز الأدب العجائبي في التراث العربي القديم.

ومنه نقول، إن الكرامة الصوفية اعتمدت السند المركب(العنعنة) في مرحلة كانت لا تزال تبحث عن مكانتها بين النصوص الأخرى التي انتشرت في القرنين الثاني والثالث للهجرة، وعن شريحة

1 آمنة بلعلى ، الحركيّة التواصلية في الخطاب الصوفي، من القرن الثالث الى القرن السابع الهجريين، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص205-206.

من المتلقين والمتقبلين لها، في سياق ثقافي إسلامي يستبعد الأباطيل والخرافات من دائرة المحمود، وقد تكون قدسيتها وارتباطها بالدين سببا آخر جعل من الكرامة تلجأ إلى السند الذي يبدو" مضللا، لا وظيفة له إلا الإيهام بصدق الحادثة"[1] ويدخل بذلك في القصص الحق الذي تكلم عنه القرآن الكريم.

أما السند البسيط (أخبرني، حكى بعض الثقات...)، فهو مرحلة التحرر والتطور الذي سيظهر أيضا في بنية الكرامة وتعقيدها، لما أصبح جوّ الكرامات شائعا، بل أصبح لها مصدّقون من كل الفئات، فبدأ السند يتحول إلى مجرد استهلال يفتتح به الراوي سرد الكرامة ويدخل به إلى عالم القص، وفي هذه المرحلة جاز للباحثين تسمية الكرامة باسم آخر، ونقلها من دائرة الأخبار إلى دائرة القصص الصوفي[2].

2-2 الراوي الكراماتي:

يعدّ الراوي في القديم هو المصدر الأول للمعرفة، وكانت المشافهة هي الطريقة التي تأخذ بها مختلف العلوم، فهي "فن لفظي يعتمد على الأقوال الصادرة عن راوٍ يرسلها إلى متلقٍ"[3]؛ ولذلك كان للراوي مكانة خاصة في السرد التراثي. وما يلاحظ أنّ الرواة يمكن أن تتغير وظائفهم وتقوم هذه الفئة بالإصغاء بدل الإرسال، إلى أن يصل المروي إلى يد المدوّن فيأخذ بذلك شكله الأخير، الذي يعطيه قدراً من الثبات.

غالبا ما يكون الرواة حاضرين في الكرامة بأسمائهم، وأحيانا ببعض صفاتهم كالعلم والمكانة الاجتماعية وحسن الخلق، وهناك حالات أخرى يكون فيها الراوي مجهولاً ويكتفي المدوّن بالإشارة إليه بألفاظ عامة، مع حرصه على ذكر أو إثبات ثقته بهذا الراوي كأن يقول "أخبرني بعض الثقات " أو "أخبرني أحد الصالحين".

يظهر الرواة والمروي لهم في سلسلة السند الكراماتي، دون أن يكون لهم تأثير مباشر في صياغة عالم الحكي، فقد انتهى دور الرواة في إبلاغ الحدث، وتظهر في الكرامة المدوّنة كفاءة الراوي الأخير وهو سارد الحكاية، وهنا يحقّ لنا التساؤل عن المتكلم في الكرامة الصوفية، مع الأخذ بعين الاعتبار خصوصية التجربة الصوفية، فهي فلسفة حياة يتبناها الإنسان لتحقيق كماله الأخلاقي

---

1 المرجع نفسه، ص206.

2 المرجع نفسه، ص205-206.

3 عبد الله إبراهيم ، السردية العربية، ص22.

ومعرفته بالحقيقة وسعادته الروحية[1] كان له مصدقون وأتباع من كل الفئات، أخذوا على عاتقهم التعريف بالطريقة وما شاهدوه في شيخهم من كرامات؛ ولذلك اكتسب الخطاب وراويه خصوصية، تبعاً للتجربة الصوفية.

لقد كان المريدون أكثر الفئات روايةً للكرامة الصوفية، نظراً للنظام الصوفي الذي يقضي بتبعيتهم وخدمتهم لشيوخهم، مما يسمح لهم بعد جهد ومكابدة بالوصول إلى "الحقيقة" التي لا تحصل إلا بالمصاحبة "فلو أن الرجل جمع العلوم كلها وصحب كل طوائف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة من شيخ أو إمام..."[2] ولا شكّ أن هذه العلاقة التي تجمع المريد للوصول بشيخ واصل، علاقة خاصة مختلفة عن علاقة المعلم بتلميذه، التي نسمع عنها في مجالس العلم التي يرويها أسلافنا، فعلاقة المريد بشيخه أكثر خصوصية من تلك؛ لأنها "علاقة روحية بكل ما تمثله هذه الكلمة من أسرار تتجاوز المنظور المادي والمحسوس المدرك"[3]، فالارتباط الروحي ومحبة الشيخ أول عتبة يذكرها المريد حين يرغب في أخذ العهد عن أحد الشيوخ، وتقتضي بأن "يرمي التلميذ بنفسه بين يدي شيخه ويسلم له القيادة ويكون بين يديه كالميت بين يدي الغاسل، يقلبه كما يشاء ولا يعترض عليه بقلبه ولا بلسانه"[4]، مثلما يتبين من الأقوال السابقة.

2-3-بنية المروي الكراماتي:

الكرامة الصوفية تحيط الفعل الخارق بعوالم مرجعية تحاول من خلالها صنع روافد خارج الكرامات، أو بصيغة أخرى، خارج النص الأدبي فبمقارنتها مع الأشكال التعبيرية الأخرى، يتبين اختلافها في تشكيل هذه العوالم وصياغتها بطريقة خاصة توهم بواقعيه الكرامة.

المكان والزمان غالباً ما يحددهما الراوي في أوقات معينة، معروفة في الثقافة الإسلامية، كأوقات الصلوات وفضاء الخلوة والانعزال، إذ كلها تجعل من الزمن الواقعي مرجعا لها، أمّا الفضاء

1 الحديث عن مفهوم التصوف ومقاماته ودرجاته يراجع: عبد الله أحمد بن عجيبة، معراج التشوف إلى حقائق التصوف تحقيق عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، دت. يراجع أيضا: عبده غالب أحمد عيسى، مفهوم التصوف، دار الجيل، ط1، بيروت، 1992.

2 القشيري، الرسالة القشرية، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود الشريف، دار الشعب، ط1، القاهرة، 1989. ص153.

3 جمال نصار حسن وآخرون، الباراسيكولوجيا، بين المطرقة والسندان، دار الطليعة، ط1، بيروت، 1995 ص150.

عمار علي حسن، السياسة والصوفية في مصر، مركز المحروسة ، ط1، القاهرة، 1998، ص4.81

فتتحدد مرجعيته بذكر أماكن معروفة كالبلدان وأسماء القرى وغالبا ما يعطى الراوي إلى جانب ذلك، تحديدات مكانية أخرى من شأنها جعل المكان المتخيل واقعياً، كقولهم "والخلوة قائمة إلى الآن"، أو "وقبره معروف في.." وغيرها من العبارات التي تزوّد القارئ بعلامات يتعرّف بها على مكان الحدث.

أمّا العجائبية، فتدخل في تكوين الكرامة نفسها، فالإشارة إلى عجائبية أحد هذه العوالم، لا يحدث إلا عندما يقصد الراوي تبيين الخرق من خلالها، كما يحدث بالنسبة للإستباقات، والمكاشفة، وذكر الفضاء العجائبي وفضاء التحول والبركة، إذ يشهد بذلك على المدد الحاصل ببركة هذا الشخص.

إنّ هذه العوالم التي تشترك فيها كل الأشكال التعبيرية الأدبية، على حد السواء تصوغها الكرامة بشكل مختلف، حيث تصنع في إيرادها للعالم المرجعي وتحويله إلى عجائبي، عالماً معقداً يؤتي بدلائل خارج نصية لإقناع القارئ، عكس الأشكال التعبيرية الأخرى. كما أنّها لا تركز على هذه العوالم بالوصف والإطناب، إلاّ إذا كانت فاعلة في الحكي، أو بعبارة أخرى، إذا كانت تشكّل الخرق الذي تنبني عليه الكرامة، وهذا يؤكد أنّ الكرامة تختلف عن الأشكال التعبيرية الأخرى، كالحكاية الخرافية مثلا، بتركيزها على شخصية تقوم بأفعال خارقة.

إن الحديث عن بنية الحدث والشخصيات يكشف ثوابت الكرامة وهيكلة وجودها، ويجمع شتات النصوص وتعددها تحت شكل محدد وثابت نسبياً، تستمد منه هذه النصوص انتماءها إلى شكل خاص يسمى الكرامة، كما سيتضّح من خلال التحليل.

وإن كانت الكرامة الصوفية تتداخل مع عدّة أشكال تعبيرية أخرى، فإن الحدث والشخصيات عنصران أساسيان في تكوينها، يحددان بنية نصها؛ لذلك نحاول رصدهما مع توضيح النقاط التي يمكن أن تضلّل الباحث، وتجعل النص معرضاً لأزمة انتماء جنسي وتشتت بين مختلف الأشكال التعبيرية.

الكرامة الصوفية تدخل ضمن الأشكال البسيطة التي يحكمها قصر النص وخصوصية البناء، فالحدث في هذه الأشكال يتميز بالوحدة والبساطة وبالتالي يمكنه أن يقدّم خارج الزمن والفضاء[1]، ما يجعلنا أمام نصوص تركز على حدث وحيد تقوم به شخصية مركزية تمثّل البطل والشاهد فيها، إذ تصادفنا في متن الكتاب نصوص لا تتعدى جملة واحدة، ونصوص أخرى لا تصوّر أيّ تحول أو بناء بل تمثل مجموعة من الأحداث المتخذة كصفات تضمّ إلى ترجمة الولي، فلا تعدّ هذه الأخبار أشكالاً

1 يراجع: سعيد جبار ، الخبر في السرد العربي، الثوابت والمتغيرات، المدارس للنشر، ط1، الدار البيضاء، 2004. ص133.

مكتملة البناء، لافتقارها إلى مؤطرات الحكاية من زمن وفضاء وشخصيات وغيرها من تفاصيل الحدث التي تمدّه بالحيوية، إلاّ أنها تعدّ **أنوية** مرشحة للدخول في الحكي إذا ما توافرت مخيلة الراوي الذي يعيد بناءها كما نلاحظ ذلك في الكثير من الكرامات.

أما السمة الثانية التي تفيدنا فيها هذه **الأنوية**، هي معرفة العناصر الأساسية المكوّنة للكرامة الصوفية، فهي تمثل ما يشبه الاختزال أو بلغة الرياضيات المعادلة المكونة لها فبدل أن نحكي قصة الولي عن الشيخ مُحَمَّد شاه الدين نقشبند التي يقول فيها الراوي:

"**عن بعض أصحابه أنه قال: سألته قدّس الله سره يوما أن يدعو الله لي بأن يأتيني غلام. فدعا لي، فولد لي ولد ببركة دعائه ثم مات فذكرت ذلك له فقال: طلبت منا أن يأتيك ولد وقد أعطاك الله ذلك وأخذه، ولكن نرجوه أن يعطيك الله تعالى ببركة دعاء الفقراء ولدين يعمران مدة طويلة، فبعد أيام جاءني غلامان، فمرض أحدهما فأخبرته فقال: هو ولدى فمالك والاشتغال به، فإنه يمرض كثيرا ثم يشفى، وكان كما ذكر رضي الله عنه**"[1]. يمكن أن ترد على شكل خبر يقال فيه على سبيل المثال، "دعا لرجل بالولد فحدث ذلك" أو "كان مستجاب الدعاء يلجأ إليه في قضاء الحاجات"، إذ نلخص الكرامة السابقة إلى (حدث خارق+ شخصية البطل-الولي-)، فالأحداث إذن، مختلفة عن أحداث الحكاية الخرافية لارتباطها بالولي الصوفي، وبمقصديتها الدينية التي تقدس البطل.

ولعلّ ما يحوّل **الأنوية** السابق ذكرها، وما يؤهلها للدخول في نوع أدبي معين هو "تمديد النواة وتمطيطها، ويقتصر مبدأ التطور هنا على التوسيع والنشر لنواة أصلية مختزلة ثرية"[2] آخذة في التشكل إلى حدّ تتمكن فيه الكرامات من الدخول في تشكيل أنواع أدبية جديدة.

يتميز الحدث في الكرامات الصوفية ببناء خاص يجمع بين العجائبية وسرعة الوقوع، على الرغم من ارتباطه بشخصيات معروفة وموثّقة في كتب التراجم، إلاّ أنّ ذلك لا ينفي العجائبية، بل يحاول إثباتها مضيفاً إليها روافد أخرى خارج نصية، كالأماكن المعروفة والتواريخ المثبتة، والحجج العقلية من القرآن والسنة.

1 النبهاني: جامع كرامات الأولياء، ج1، ص251.

2 بسمة عروس، التفاعل في الأجناس الأدبية، مشروع قراءة في تفاعل الأجناس النثرية القديمة من القرن الثالث إلى القرن السادس، منشورات كلية الآداب والفنون الإنسانية، منوبة، تونس، 2008، ص63.

إن بناء الكرامة الصوفية على تكرار مجموعة من الوظائف يؤكد ثبات نسبيا لبنيتها، واعتمادها على اتباع كرامات السابقين والبناء على نمطها كرامات جديدة لا تخرج عنها في طريقة تقديم الحدث وتصوير الشخصية، على الرغم من الاختلاف في موضوع الحدث كما أحصاها أبو **الفضل بدران** في كتابة "أدبيات الكرامة الصوفية" بأنّ مواضيع الكرامات لا تتعدى عشرين موضوعاً، إلاّ أنّ هذه المواضيع المختلفة تقدم بطريقة واحدة.

أماّ الشخصية فهي رافد مهم من روافدها، فلا تحقق الحكاية انتماءها إلى نوع الكرامة إلاّ إذا تبيّن أنها متعلقة بولي، وإلا ستسمى بأسماء أخرى، حسب الشخصية الفاعلة فيها كما فصل في ذلك أرباب التصوف، إما استدراجاً، إذا كان الفاعل عاصٍ، أو سحراً إذا كان ساحراً، أو معجزة إذا كان نبياً.

على الرغم من أنّ الكرامة الصوفية أحادية البطل، إذ تبين ذلك من خلال حشدها لكل الحجج والبراهين، التي تؤكد أهليته واستحقاقه، وكذلك حضور الشخصيات الأخرى لتبين هذه النقطة، والتركيز عليه كمحور أساس، لا وجود للكرامة من دونه، إلا أن ذلك لا يمكن عدّه تركيزاً على الشخصية فقط، دون الحدث، وإلا بما تفسر الكرامات التي تروى عن مجهولين، والتي عقد لها النبهاني فصلا خاصا في نهاية كتابه، وهذا يدل على أن الكرامة تركز على الحدث الخارق بقدر ما تركز على الشخصية.

4-مبادئ الجنس العام

4-1 بنية الثبات في الكرامة الصوفية

تعد الكرامة رافدا من روافد الكلام العربي، وذلك لكثرة نصوصها التي انتشرت في ميادين شتى، ناهيك عن المؤلفات الخاصة برصد الكرامات، كجامع كرامات الأولياء للنبهاني، و"روض الرياحين في حكايات الصالحين" لعفيف الدين اليافعي، ومنها ما هو منتشر في كتب أهل التصوف كاللمع للطوسي، والرسالة القشيرية للقشيري، ومنها ما هو منتشر في كتب الطبقات والمناقب، وفي كتب الرحلات والأخبار، فمادتها مكتنزة ومصادرها كثيرة.

تتجلى الكرامة عبر صيغة الاخبار التي تدخلها ضمن جنس الخبر، فهي جنس إسنادي تعتمد طريقة العنعنة في نقل الخبر ضمن سلسلة الرواة المعروفة باسمائهم يجري عليها ما يجرى على جنس الخبر، وقد عدّ الباحث **سعيد يقطين** هذه الصيغ **les modes** المستعملة في السرد إحدى العناصر

المهمة، التي يمكن الاعتماد عليها في مسألة التنظير للأجناس الأدبية العربية خاصة، فيصرّح أن الكلام العربي يقوم على صيغتين اثنتين هما: القول والإخبار.

يتعلّق القول بمتكلم يبلّغ ما في نفسه للمخاطب، ويدخل في القول "تبعا لهذا التحديد كل ما يتصل بالمخاطبات والمحاورات والمراسلات والخطب والمساجلات، وما يتصل في هذا النطاق من أنواع القول. إن العلاقة علاقة اتصال بين القائل والمقول والمخاطب."[1] أما الإخبار فيكون فيه المرسل بصدد الإخبار عما وقع، ليجعل المخاطب على علم به، ويدخل في ذلك "ما يتصل بالوقائع والحكايات والأخبار والتواريخ وما شاكل هذا من الإخبارات وفيها جميعا، نجد العلاقة بين المخبر والإخبار والمخاطب تقوم على الانفصال بوجه عام، لأنها تتم على مسافات متعددة الملامح."[2] متباعدة الأزمنة زمن الوقوع وزمن القص.

يعمل الراوي على بناء عالمه الحكائي مركزا على حدث خارق تقوم به شخصية صوفية، تجمع بين العجائبية والمرجعية*، تحافظ على اتزانها بصياغة خاصة للحدث من حيث تناصه مع المعجزات انطلاقا من مقولة المتصوفة "كل ما كان معجزة لنبي يجوز أن يكون كرامة لولي"[3] لتكون المعجزات رافدا مهما من روافد الكرامة.

إنّ ثوابت الكرامة الصوفية لا تخرج عن عنصرين اثنين حدث خارق، وشخصية صوفية، فالحدث الخارق يتميز عن الحدث في الأشكال التعبيرية الأخرى، بكونه يخرق نواميس الحياة، مع الإيهام بصدقه عن طريق توسله بكل ما هو واقعي تاريخي من معطيات أخرى مساعدة، كالشخصيات الثانوية أو المكان، أما شخصية الوليّ الصوفي فهي ركيزة أساسية لا تعتد الكرامة من دونها، وأيّ حدث

---

1 سعيد يقطين ، الكلام والخبر، مقدمة للسرد العربي، ص190-191.

2 نفسه، ص191.

*الكرامات تمثل شروط العجائبي التي وضعها "تودوروف" وتتجاوزها إلى شروط جديدة خاصة بها، كديمومة التردد الذي توفره الثقافة الإسلامية، والذي يتجلى في وضوح من خلال امتحان يخضع له الولي لإثبات الأهلية والولاية، إذ لا يقتصر التردد على الشخصيات فحسب، بل يتعداه إلى تردد المتلقي أيضاً حينما يجد نفسه أمام أحداث خارقة، مرتبطة بشخصية دينية لها وجود تاريخي وركائز واقعية كثيرة، كالسند والأحاديث والآيات القرآنية، التي تقدّم كحجج على جواز حدوث مثل هذه الوقائع الخارقة، مما يدخله في حالة من الحيرة والتردد، هل يصدّق هذا النص المرتبط بالمقدس أم يكذّبه. يراجع: علي خليل لؤي، عجائبية النثر الحكائي، أدب المعراج والمناقب، دار التكوين للنشر، د.ب، د.ت. ص243- 245.

3 النبهاني، جامع كرامات الأولياء ، ج1، ص11.

خارق أو عجائبي لا يرتبط بصوفي يخرج الحكاية من كونها كرامة إلى نوع آخر كالمعجزة اذا كان نبي، أو الاستدراج اذا كان عاصيا.

لقد شكّل الإسناد نقطة شراكة أو لقاء بين الكرامة الصوفية والخبر، في المراحل الأولى من وجودها، حين لم تتعدَّ حيّز الشيوخ والمريدين، وفي مرحلة لاحقة تجاوزته وتخلصت منه، واستعارت استهلالات القصص والحكايات المنتشرة في تلك الفترة، مما يبيّن أن هذا التجاوز قد سمح للكرامة بالانتشار، فأصبحت روايتها مسموحاً بها لكل من سمعها وفتح الباب على مصراعيه للزيادات، والنسج من الخيال على منوال أو نمط يكاد يكون نفسه في الكرامات كلها، على الرغم من الاختلاف السطحي الظاهر بينها، " فكانت تكثر كلما زاد البعد الزمني عن النبوة، وأغرق التصوف في الابتعاد عن الواقع...ثمّ أخذ الصوفيون يجترونها فصار الواحد يأكل كرامات الآخر"[1] فتتداخل، وتضاف إليها تعليقات الرواة الذين تركوا بصماتهم في النصوص المدونة بشرح أو تأويل.

ولعلّ هذه الحيوية التي اكتسبتها الكرامة الصوفية، والتي سمحت لها بالانتشار تنحدر أساساً من شعبيتها وعلاقتها بالتداول اليومي بين أفراد المجتمع، وهذه خاصية من خصائص الأنواع البسيطة، كما يراها **يولس "A.Jules"** في كتابه **"الأشكال البسيطة Les formes simples"**، إذ يؤكد أن الشفوية وعامية اللغة لا تعيب هذه الأشكال، بل تعدّ مصدراً يزوّدها بالحيوية وإمكانية التحول في كل لحظة، لتشكل نواة أساسية لأنواع مركبة في المستقبل.[2]

2-4 مبدأ التحول -الكرامة الصوفية كنوع أدبي

إذا انطلقنا من **الإخبار** كصيغة تعتمدها الكرامة الصوفية لتدخل بذلك في جنس الخبر، تصادفنا تحولات في بنية الأخبار البسيطة؛ فالكرامة لا تتوقف عند الإخبار بحدث فحسب، مثلما هو الحال في الخبر كتجلي نوعي، وقد سبق وأشرنا الى أنّ الكرامة هي حدث مقرون بالخرق وشخصية مقرونة بالصلاح، فهذه المعطيات تجعل الخبر يحمل مجموعة من الخصائص النوعية التي تجعل الكرامة لا تخرج عن الخبر كجنس جامع، لكن في الوقت نفسه ترسم لنفسها إطارا خاصا ووجودا فعليا، وتشكل تكتلا لمجموعة من النصوص التي تضيف خصائص جديدة إلى جانب خاصية الإخبار

1 على زيغور، الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم، القطاع اللاواعي في الذات العربية، ص99.

2 سعيد جبار، الخبر في السرد العربي الثوابت والمتغيرات، ط1، المدارس للنشر، الدار البيضاء، 2004، ص109. نقلا عن: Les. A jules Formes simples ed seuil, paris 1972, p 186.

بحادثة ، وتكون الكرامة إخبار بحادثة خارقة متعلقة بولي، وهنا نجد أنفسنا أمام شكل من أشكال التحول.

ونستدل على ذلك بما نجده في المدونات التي تضمن النصوص الكراماتية أخبارا لا تتعدى سطرا واحدا، كقول النبهاني عن إبراهيم بن علي بن ابراهيم الجبلي "**كان من الصاحين ومن أصحاب الكرامات منها أن أباه كان يحبه ويقدمه على أولاده، فسئل فقال أنه ليلة ولد أضاء البيت**"[1] أو تلخيصا للكرامات الشائعة بالاقتصار على الحدث الخارق كما سبق الإشارة إليه.

لكن الثابت في الكرامة كنوع أدبي هو تلك البنية التي يتكرر من خلالها فعل الخرق، فيجسد الحدث الوحيد بساطتها، ويتشكل عبر مجموعة من الحوافز تهيئ لظهور الحدث الرئيس، إذ يعمد الراوي في جمل استهلالية إلى إعطاء لمحة مستعجلة عن المرحلة البدئية وعن شخوص الكرامة، فالتركيز على زمان أو منظر ما يمهد للحدث الخارق الذي سيأتي بعد ذلك، فذكر الصحراء وتصويرها على أنها فضاء التيه والجفاف يمهد لوقوع جذب أو خطر يستدعي الحدث الرئيسي، أو ما يسمى في الاصطلاح الصوفي ب"المدد" وهي الحل الذي يتبع الأزمة، أو المساعدة التي يتلقاها المحتاج؛ فلا تتعدى وظائف الكرامة الصوفية اربع وظائف:

أولاـ **الاستهلال**: يؤدى الراوي في الكرامة الصوفية دور الاستهلال أو الحالة المبدئية التي ينفتح بها السرد، فقد يقدّم معلومات عن وضعية الشخصيات في الحكاية، أو يصف حالة ما، يعمل من خلالها على التمهيد لوقوع الخرق.

ثانياـ **الإثارة** : استخدم "**سعيد جبار**" مصطلح الإثارة في كتابه "**الخبر في السرد العربي**"، يعبر من خلاله عن **اللّاتوازن** الذي يحدث في الخبر، وقد عمدنا إلى هذا المصطلح لسعة دلالته، إذ يعبّر عن كل الحوافز والحالات السردية التي من شأنها إحداث التحوّل في الحكاية، وهذه الإثارة هي الكفيلة بضمان سيرورة المسار السردي، إذ إنّها تستدعي استجابة معينة"[2]، سواء أكانت الإثارة حاجة لشيء أو تعرض لسوء أو موقف آخر يحفز السرد، ويجعل من الذات أو الشخصية تتحرك وتستجيب لهذه الإثارة، بالسعي إلى إعادة التوازن.

---

1 النبهاني، جامع كرامات الاولياء ، ج1، ص400.

2 سعيد جبار ، الخبر في السرد العربي، الثوابت والمتغيرات، ص156

ثالثا ـــ **المدد**: هو مصطلح صوفي يطلقه المتصوفة عن الاتصال الروحي بالرسول ﷺ، وعن الإفاضة عليهم بالأنوار والفتوحات في الحضرة الصوفية. فعمّم بعد ذلك ليدلّ "عن وصول كل ما يحتاج إليه ليمكن في وجوده على الولاء حتى يبقى، فإن الحق يمده من النفس الرحماني بالوجود ..."[1] ومنه يطلق اسم **ممدّ الهمم** على" النبي ﷺ لأنه الواسطة في إفاضته الحق الهادية على من ساء من عباده وأمددهم بنور والأبد ." [2]

وهكذا فالمدد هو المساعدة التي يتلقاها المحتاج ببركة مقامات الأولياء والأنبياء تأتي على شكل حدث خارق للعادة، نتيجة إثارة ما وهو نفسه الحدث الذي لا غنى عنه في الكرامة أو بالأحرى، لنقل إن المدد هو نفسه الكرامة شريطة أن يقترن المدد (الخرق) بالأولياء والصالحين، وإلا سمي باسم آخر كالاستدراج، السحر، أو المعجزة.

رابعا ــ **الأهلية** : هي الوظيفة التي تؤتي الكرامة غرض وجودها ومعناها الحقيقي، "إذ تظهر مثل هذه الخوارق ملامح التلفيق واضحة وربما القصد من وراء إيرادها إثبات قدرة هؤلاء الشيوخ على التصرّف ...ذلك استغلالاً للناس "[3] وتمريراً لخطابهم ومعتقداتهم دون مقاومة، ونشراً لمعتقدات تخدم الأولياء وتؤكد على استحقاقهم للاحترام والتبجيل، لما وصلوا إليه من مقامات تخوّل لهم التصرف في الأكوان، فتختفي هذه الكرامات تحت ستار الحاجات أو المساعدات التي يمنحها الولي للناس ببركته، موهمة المتبعين بضرورة كتم الكرامة؛ إلا أنّ الكثير منها قد روي على لسان الأولياء أنفسهم، أو تحكي أحداث وقعت على مرأى من الناس؛ مما يدل على أنّ مساعدة الناس، ليست سوى حجة واهية لتحقيق الأهلية.

فالبنية البسيطة لا تخرج عن هذه العناصر السابق ذكرها (راوي ، إثارة، مدد، أهلية)، بينما تتعقد بنية الكرامة عندما تروي أكثر من إثارة ، أو أكثر من مدد، أو كليهما معا، مع احتفاظها بالراوي نفسه، وهو العنصر الوحيد الذي يرسم وحدة الكرامة المركبة.

---

1 الكاشاني عبد الرزاق، معجم اصطلاحات الصوفية، تصنيف وتحقيق عبد العال شاهين، ط1، دار المنار للنشر، القاهرة، 1992.ص101.

2 نفسه، ص188.

3 تقي الدين الهلالي، "أيهم زعيم يتبني هذه الحكايات"، عن محور من مشكاة النصح، مقالة في مجلة الصوفية، عدد5، أغسطس 2007، ص15. عن موقع: www.asoufia.com

3-4 مبدأ التغيير: أنماط الكرامة الصوفية

في المستوى الثالث يتم إدراك التغيرات التي تطرأ على الكرامة الصوفية، تلك التي تتحقق على مستوى النصوص، إما أسلوبيا، أو معنويا، وقد تستعين بأنواع أدبية أخرى، لأنّه وفي هذا المستوى بالذات لا يشترط انتماء النمط إلى جنسه، بل يمكن أن يدخل النمط الواحد في أكثر من جنس.

إن التغيرات التي نجدها في الكرامة الصوفية تدخل ضمن تيمات معينة، وقد أحصاها المدونون في جوامع الكرامات وسموها **أنواعا**، منهم من جعلها في خمس وعشرين نوعا، كالنبهاني ومنهم من قال أنها تفوق المئة نوع .

تتحقق التغيرات على مستوى أنماط الكرامات بتبتع أنواع الخرق الحادث فيها، وإيجاد السمة التي تضم مجموعة من الكرامات وتضمها بخيط رفيع يربط بينها، الاّ أن هذه الخاصية لا تنفرد بها الكرامة فحسب، بل لها حضور في أشكال تعبيرية أخرى كثيرة، كالسير والمغازي، والحكايات الخرافية، والقصص القرآني وغيرها.

أولا ـ **الرؤيا:** تعدّ الرؤيا إحدى الآليات التي يتصل بها الصوفي بربه، نظرا للمكانة الدينية التي يمتلكها هؤلاء[1]، فيرى الولي رؤيا يجد لها أثراً في الواقع، وتصدق الرؤيا بتحققها بعد عودته الى الواقع، ما يجعلها فضاء آخر لتحقيق الكرامة، وتختلف بذلك عن أحلام العامة، بكونها خطاباً مقدساً، قابلاً للتصديق بشكل أوسع وأكثر من الخوارق الأخرى التي تروى عن الأولياء، فتتحوّل الرؤيا إلى حكاية وتسهم في بناء حكم أو الاطلاع على سرّ أو وصية ما، ولعلّ كثرة الكرامات التي تروى على شكل رؤى توحي بكون الكرامات كلها أحلام يقضة، سواءٌ اعترف المتصوفة بذلك أم أنكروه، لتشابه آليات اشتغال الحلم مع آليات اشتغال الكرامة في تحقيق رغبات الصوفي وأمانيه[2].

1 يراجع: سعيد جبار، الخبر في السرد العربي الثوابت والمتغيرات، ص241.

2 يراجع: زيغور، الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم.

ثانيا-الدعاء: يحتل الدعاء مكانة هامة في الثقافة الإسلامية، فهو تضرع ولجوء إلى الله بأن يقضي للعبد حاجة ما مع أمل في الإجابة، لكن الدعاء عند المتصوفة يتخذ في ظاهره اسم الطلب، ويخفي في باطنه التحقق، واستجابة الدعاء من علامات الولاية[1].

الدعاء كثير الحضور في القصص الشعبية والقصص الدينية بشكل خاص، واستجابة الله للداعي تعبير عن صلاحه، كما استجيب لدعاء زكريا بالولد، وأيوب بالفرج، وهذا ما يؤكد ارتباط الكرامة الصوفية بالقصص الديني، وكذلك محاكاتها لشخصيات الأنبياء، فما يجعل الدعاء استباقاً في الكرامة الصوفية، هو تعلقّه بشخصية الولي التي تحمل سمات مختلفة عن باقي البشر، تجعله في حالات كثيرة أقرب إلى الإله منه إلى الإنسان، [2] فيشكل الدعاء بذلك " التعويذة اللفظية التي يتم بها تغيير الأشياء، حتى وإن لم يتلفظ بها"[3]مما يخرجه من الدعاء كخطاب ديني إلى الدعاء كحدث عجائبي.

ثالثا- المكاشفة: تعني المكاشفة في اللغة إظهار ورفع الشيء عما يواريه ويغطيه عن الأنظار، وتتخذ الكلمة عند المتصوفة معنى أوسع لما هو عليه في اللغة، فيعنى به الإطلاع على ما هو مستور من معان غيبية وأسرار إلهية، [4] ومعرفة كل ما يتعلق بعالم الغيب، ؛ إذ يعرف الولي ما في خواطر الناس وما سيقع مستقبلا من احداث، وقد تكون المكاشفة هذه مرتبطة بميلاد ولي أو بمعرفة خواطر العامة، وقد ينبئ بحادثة اجتماعية أو سياسية وأحيانا أخرى بمكانة الأولياء ووراثة القطبية.

وإذا قارننا هذا المكاشفة بالسياق الثقافي، نجد أنّ السير الشعبية تحمل الكثير من مثل هذه الإشارات، خاصة ما تعلق منها بميلاد البطل. والقارئ للسيرة النبوية وقصص الأنبياء عامة، يجد أنهم يحاطون بهالة من الرموز والألغاز التي تمهّد لظهورهم وتدلّ على علوّ مكانتهم بين الخلائق.[5]

---

1 يراجع: ابن الزيات، أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تح أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب ، ط2، الرباط، 1997، ص121.

2 يراجع: علي زيغور ، العقلية الصوفية ونفسانية التصوف، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1979، ص190-193.

3 آمنة بلعلى ، الحركيّة التواصلية في الخطاب الصوفي، ص198.

4 سعاد الحكيم، المعجم الصوفي، ص 264-265.

5 يراجع: سعيد يقطين ، قال الراوي البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، 1997. يراجع أيضا: صيفي عبد الرحمان المبارك فوركفوري، الرحيق المختوم ، ط2 دار القلم، بيروت، 1988، ص53.

رابعا-**التعالي الكوني** : يتجلى التعالي الكوني في القدرات التي تميز شخصية الولي، إذ لا يخضع لأي قانون كوني، زمني أو مكاني أو حتى مادي، عدا القانون الإلهي الذي ضمن حبه وتوفيقه بعد وصوله إلى درجة الأهلية، أن يكون أهلا لمحبة الله وأهلا لكسر النواميس من أجله، فيحول الصحراء إلى جنة، ويحوّل مياه البحر إلى مياه عذبة، كما يحوّل الثوب من رث قديم الى جديد انيق، يحول الظلام الى نور، يطوي المسافات ويحضر في أكثر من مكان في الوقت نفسه، وتشمله العناية الربانية حتى بعد موته، اذ يبقى محافظا على هيئته وقادرا على حماية المستغيث ومعاقبة الظالم، والتوسط لله في دعوات الداعين المتوسلين وغيرها كثير من مظاهر التعالي على نواميس الكون والقدرة على التحوّل.

تظهر الكثير من الكرامات على شكل تحويل في الأمكنة والأزمة والأشياء، تحويلا يشبه السحر الذي توظّفه الحكايات الشعبية، لكن بطريقة مخالفة، يهدف من خلالها الولي إلى تبيان أن الدنيا ملك يديه لكنه يختار الله ويعزف عنها وعن ملذاتها، على الرغم من ذلك لا يتوانى في سد حاجة لمريد أو لعبد يقصده.

خاتمة:

تعد الكرامة الصوفية شكلا أدبيا بمقوماته الفنية وخصائصه البنيوية لا يقل مكانة عن المقامات والرسائل وغيرها من الأنواع الأدبية التراثية، إلاّ أنّه نوع أدبي مظلوم استبعده النقاد من خارطة أصناف الكلام التراثية، لاعتبارات كثيرة منها ما تعلق بالجانب الإيديولوجي الديني، ومنها ما تعلق بالجانب النقدي والبلاغي.

ونظرا لكون مفهوم الأدب في الثقافة العربية القديمة يختلف أشد الاختلاف عن مفهومه الحديث، فإنّه لزام على الباحث أن يستحضر هذه المعايير القديمة، ويوسع حلقة البحث باعتماده على المعايير الحديثة، لتشمل النمذجة كل تلك النصوص التي غيبها النقاد القدامى, وأصبحت –بفعلهم- من أدب الهامش الذي لا ينمو ولا يُتلقى إلاّ في أوساط العامة من الشعب كما هو شأن الكرامات والسير الشعبية.

ومن هذا المنطلق ولجنا عالم الكرامات الصوفية نبحث عن بنيته السردية وخصائصه الفنية، ونفرق بين ثوابته ومتغيراته لنؤكد على تشيكلها لنوع أدبي ينضوي تحت جنس الخبر، ويتداخل مع أشكال أدبية، كالسير الشعبية والأخبار، ويتناص مع السرود التاريخية والدينية، كالتراجم، وقصص الأنبياء ومعجزاتهم، مما يجعل منه قابلا للتحول ودائم التغير.

قائمة المصادر والمراجع :

1 إبراهيم عبد الله، السردية العربية، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، 2000،

2 ابراهيم عبد الله ، التلقي والسياقات الثقافية، منشورات الاختلاف، ط2، الجزائر، 2005.

3 ابن الزيات، أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تح أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب ، ط2، الرباط، 1997.

4 بلعلى آمنة ، الحركيّة التواصلية في الخطاب الصوفي، من القرن الثالث الى القرن السابع الهجريين، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001.

5 بن رمضان فرج، الأدب العربي القديم ونظرية الأجناس،_القصص_ ط1، دار محمد على الحامي ، تونس، 2001 .

6 تزفيتان تدوروف، نظرية المنهج الشكلي نصوص الشلانيين الروس، تر ابراهيم الخطيب، ط1، مؤسسة الأبحاث العربية ، لبنان، 1982.

7 جبار سعيد، الخبر في السرد العربي، الثوابت والمتغيرات، المدارس للنشر، ط1، الدار البيضاء، 2004.

8 جمال نصار حسن وآخرون: الباراسيكولوجيا بين المطرقة والسندان، دار الطليعة، ط1، بيروت، 1995.

9 الحكيم سعاد، المعجم الصوفي، الحكمة في حدود الكلمة، دندرة للطباعة والنشر، ط1، د.ب، 1981.

10 خوالدية أسماء، الفكه في كرامات الصوفية، بين التقديس والتحميق، ط1، منشورات الاختلاف، 2015.

11 زيغور علي، العقلية الصوفية ونفسانية التصوف، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1979.

12 زيغور علي، الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم. القطاع اللّاواعي في الذات العربية، دار الأندلس، ط2، بيروت، 1984.

13 شبيل عبد العزيز: نظرية الأجناس الأدبية في التراث النثري، جدلية الحضور والغياب، دار محمد علي المحامي، ط1، تونس، 2001.

14 صحراوي إبراهيم، السرد العربي القديم، الأنواع والوظائف والبنيات، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2008 .

15 كيليطو عبد الفتاح ، الادب والغرابة، دار توبقال للنشر، ط3، المغرب، 2006.
16 عبود التميمي فاضل، النقد العربي القديم والوعي بنظرية الأجناس الأدبية مقولات الجاحظ وابن وهب الكاتب مثالا، مجلة العميد العددان 3و4، جامعة ديالي العراق 2012.
17 عروس بسمة، التفاعل في الأجناس الأدبية مشروع قراءة في تفاعل الأجناس النثرية القديمة من القرن الثالث إلى القرن السادس، منشورات كلية الآداب والفنون الإنسانية –منوبة، 2008.
18 عفيف الدين اليافعي، روض الرياحين في حكايات الصالحين، تح مُحَمَّد عزت ، دط، المكتبة الوقفية ،دت.
19 علي خليل لؤي، عجائبية النثر الحكائي، أدب المعراج والمناقب، دار التكوين للنشر، د.ب، د.ت.
20 عمار علي حسن، السياسة والصوفية في مصر، مركز المحروسة ، ط1، القاهرة، 1998 .
21 القشيري، الرسالة القشرية، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود الشريف، دار الشعب، ط1، القاهرة، 1989.
22 الكاشاني عبد الرزاق، معجم اصطلاحات الصوفية، تصنيف وتحقيق عبد العال شاهين، ط1، دار المنار للنشر، القاهرة، 1992.
23 مجيب المصري حسين ، الأسطورة بين العرب والفرس والترك، دراسة مقارنة، الدار الثقافية للنشر، د.ت.
24 القاضي مُحَمَّد، الخبر في الأدب العربي، دراسة في السردية العربية. دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1998.
25 النبهاني يوسف بن إسماعيل، جامع كرامات الأولياء، تح: إبراهيم عطوة عوض، المكتبة الثقافية، ط1، بيروت، 1991، ج1.
26 يقطين سعيد الكلام والخبر مقدمة للسرد العربي، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، 1997.
27 يقطين سعيد، قال الراوي البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، 1997.